يوم الفرقان يوم بدر

تأليف

الدكتور محمد بن لطفي الصباغ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المكتب الإسلامي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يوم الفرقان يوم بدر

تأليف
الدكتور محمد بن لطفي الصباغ

المكتب الإسلامي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يوم الفرقان يوم بدر

تأليف
الدكتور محمد بن لطفي الصباغ

المكتب الإسلامي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب ٣٧٧١/١١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيًا: إسلاميا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فاتَّقوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرون﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وقال عزَّ من قائل:

﴿كَما أَخْرجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحقِّ وإنَّ فريقاً مِنَ المؤمنينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ في الحقِّ بَعْدَما تَبَيَّنَ كأَنَّما يُساقونَ إلى الموتِ وَهُمْ يَنْظُرُون. وإذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إحْدى الطائفتين أَنَّها لَكُمْ وتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشوكةِ تكونُ لَكُمْ ويُريدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الحقَّ بكلماتِهِ ويَقْطَعَ دابرَ الكافرينَ، لِيُحِقَّ الحقَّ وَيُبْطِلَ الباطلَ وَلَو كَرِهَ المجرمون﴾ [الأنفال: ٥ـ٨]

وقال تعالى:

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا على عَبْدِنا يوم الفُرْقَانِ يَوْمَ التقى الجمعانِ واللهُ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[١]

في تاريخِ الأممِ أَيَّامٌ مشرقةٌ حاسمةٌ . . أيامٌ خالدةٌ مذكورةٌ ليست كباقي الأيّام . . أَيامٌ تقرِّرُ مصيرَ الأمة . . وتبـدأ عهـداً جديداً . . أَيَّامٌ تؤيد الحقَّ وتدعمه، وتَعبِّدُ الطرقَ إليه .

وفي تاريخ أُمَّتِنَا المجيدة التي هِيَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناس أيامٌ معدودةٌ كانَ لها أكبرُ الأثرِ على الرسالةِ الإلٰهية الساميةِ، وعلى أبناءِ الدنيا قاطبة . .

إنَّهـا أيامٌ مبـاركـةٌ ميمـونـةٌ خيّرةٌ، رفعتْ مِنْ شأن العقيدة : عقيدة التوحيد، ومكَّنتْ لها، وارتفعتْ بالإنسانِ إلى مُسْتوىً رفيعٍ كريمٍ، وقرَّرتْ في دُنْيا الناسِ مبادئَ الحقِّ والخيرِ والعـدالـةِ والكرامةِ، وأخرجت الخلقَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النورِ، وحرّرتهم مِنْ آصارِ الشركِ والوثنيةِ، والذِّلَّةِ والمظالم الاجتماعيةِ .

أَيامٌ لا تَبْلى جِدَّتُهـا، ولا تزولُ روعتُهـا، ولا تُنْكَرُ بَرَكَتُها . . منها يومُ البِعْثَةِ، ويومُ الهِجْرَةِ، ويومُ بدرٍ: يومُ الفُرقانِ .

وإذا كانَ يومُ البِعْثَةِ يومَ بدايةِ اتصالِ هدايةِ السماءِ بقلبِ محمدٍ ﷺ ونزولِ الوحيِ عليه في غارِ حراءٍ، وكان

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يومُ الهجرةِ يومَ قيامِ دولةِ العقيدة وانتقال الدعوةِ إلى وَسَطٍ تُقيمُ فيهِ المجتمعَ الفاضلَ مجتمعَ الإسلام؛ فإنَّ يومَ بدرٍ كان يومَ الفرقان: الفرقان بَيْنَ الحقِّ و الباطل، كما سمَّاه الله تبارك وتعالى: ﴿**وما أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ التقى الجمعانِ**﴾ [الأنفال: ٤١].. يومَ استعلاءِ كلمةِ الايمـانِ.. يومَ مواجهـةِ المعسكـرِ الجـاهليّ بِقـوَّةِ السـلاحِ.. يومَ انتصـارِ الايمـانِ والتـوحيدِ وعبادةِ اللهِ والعدالةِ والكرامةِ.

في يومٍ أَغرَّ من أيامِ رمضانَ المباركِ للسنةِ الثانيةِ للهجـرة، وفي السـابـعَ عشـرَ مِنْهُ كانَ نصرُ المؤمنين، وخذلانُ الكافرين في معركة بدرٍ الكبرى.. وكانَ يومٌ له ما بَعْدَهُ.

* * *

[٢]

ولنبدأْ قصةَ هذا اليومِ الأغرِّ المباركِ من أوّلها:

تَنزَّل الوحيُ على محمد بنِ عبدِاللهِ العربيِّ القرشيِّ الهاشميِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هُدىً للناسِ وبيّناتٍ من الهدى والفرقان، ﴿**شَهْرُ رَمَضانَ الذي أُنْزِلَ فيـه القرآنُ هدىً للناسِ وبيّناتٍ من الهُدى والفُرقان**﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[البقرة: ١٨٥] فشَرَعَ ﷺ يَدْعو قَوْمَهُ إلى سبيلِ الرشادِ، ويُنْـذِرُهم ناراً تَلظَّى إنْ أعرضُوا، ويُبَشِّرُهم بجناتِ عدنٍ تَجْري من تحتها الأنهارُ ورضوانٍ من الله إن استجابوا.

دَعاهُم إلى توحيدِ اللهِ ونَبْذِ الأوثانِ.

دَعاهُم إلى الصدقِ والعفةِ، وتركِ الفواحشِ واجتنابِ الكذبِ...

دَعـاهُم إلى الأمـانـةِ والإنصافِ والعدلِ، وحرَّمَ عليهمُ الخيانـةَ والجـورَ والظلمَ.. دعاهُم إلى التعاونِ ورعايةِ الفقـراءِ، وحـذَّرهم من أكـلِ أمـوالِ النـاسِ بالباطلِ والـطغيانِ.. فقـابلُوا دعوتَهُ بالكفرِ والتكذيبِ، وجاوزُوا ذلكَ إلى الإيذاءِ والتعذيبِ، وكانُوا في خصومتِهِ قوماً لُدًّا، ثمَّ أجمعُوا على أن يقتلوهُ فنجَّاهُ اللهُ، وهاجرَ إلى المدينةِ امتثالا لأمرِ الله، بعدَ أن بايعَ أهلَها على نُصْرته، وهاجرَ مَعَـهُ أتبـاعُـه الصادقون، فتركوا الوطنَ الحبيبَ، وتركوا الأموالَ والأهلَ والأحبابَ.. ونزحوا عن بلدتِهم التي فيها ذكرياتُهم وقلوبُهم، وهاجروا إلى المدينةِ محزونينَ على فراقِ الـوطن، والبعـدِ عن البيتِ العتيق. ويمثّـل هذا الشعورَ الحزينَ الصادقَ خطابُ الرسول ﷺ المؤثّرُ لمكَّةَ وهو مطلٌّ عَلَيْها من الحَزْوَرَةِ يومَ مغادرته لها:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«واللهِ إنَّكِ لأحب بلادِ اللهِ إلى اللهِ، وأحبُّ البلادِ إليَّ، ولولا أنَّ أهلَكِ أخرجوني مِنْكِ ما خَرَجْتُ»

وعتا طواغيتُ الكفرِ في مكَّةَ يستضعفونَ المؤمنينَ فيها حتى اضطروهم إلى التخلِّي عن أموالهم ودورهم، والفرارِ بدينهم إلى الله، وعمد أولئك الكَفَرةُ الفَجَرَةُ الظَّلَمَةُ إلى أموال المسلمينَ فاغتصبوها واستولوا عليها.

* * *

[٣]

وتَخْرُجُ عِيرُ قُريشٍ، فيها أموالُهم وما أحرزوا من أموالِ المهاجرينَ وتذهبُ إلى الشامِ، فتربحُ أعظمَ الربحِ، وتعودُ القافلةُ من الشامِ وفيها ألفُ بعير، تحملُ أجودَ البضائع، وتُحقِّقُ أكبر المكاسب.. وكيفَ لا يكونُ ذلك كذلك وقد حَشَدَتْ قريش فيها كل إمكاناتها، فلقد ضمت أموال قريش بأسرها إلا حويطب بن عبد العزّى، وكان عليها زعيمٌ منْ زعماءِ قريش داهيةٌ محنَّكٌ، وتاجرٌ ماهرٌ من أذكى تجارها، وهو أبو سفيان صخر بن حرب. وليس معه من الرجال إلّا ثلاثونَ رجلاً.

فلمّا سمع رسول الله ﷺ بذلك نَدَبَ المسلمين إلى هذه القافلة الحافلة.. وقال:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

«هـذه عيرُ قُرَيْشٍ فيهـا أمـوالهم، فاخـرجـوا لعـلَّ اللهَ يَنْفُلُكُموها» فانتدب الناس، فخفَّ بعضُهُم وثَقُلَ بعضٌ؛ وذلك أنَّهم لم يظنُّوا أنَّ رسول الله ﷺ يلقى حرباً..

واستعمل رسول الله ﷺ ابنَ أمِّ مكتومٍ على الصلاةِ بالناسِ، وردَّ أبا لُبابَةَ مِنَ الروحاءِ واستعملَهُ على المدينةِ.

ودَفَعَ اللواءَ إلى مُصْعبِ بنِ عمير وكان أبيضَ، وبيْنَ يديْ رسـولِ الله ﷺ رايتـان سوداوان: إحـداهمـا مع علي بن أبي طالب يقـال لهـا (العقـاب) والأخـرى مع سعد بن معاذ سيد الأنصار.

وكـان مَعَ المسلمين في هذه الغـزوةِ فَرَسانِ اثنانِ فَقَطْ، وسبعون بعيراً يعتقبونها، وكان معهم ستون درعاً فقط.

أما عَدَدُهُمْ فكانوا ثلاثَمائة رَجُلٍ وأربعةَ عَشر رَجُلاً.

وخـرجـوا يريدون العير، ولكنَّ قدر الله غلاب: ﴿**وإذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إحدى الطائفتين أنَّها لكم وتَوَدُّونَ أنَّ غيرَ ذاتِ الشـوكةِ تكونُ لكم، ويريدُ اللهُ أنْ يُحِقَّ الحقَّ بكلماتِهِ ويقطعَ دابر الكافرينَ لِيُحِقَّ الحقَّ ويُبْطِلَ الباطلَ وَلَوْ كَرِهَ المجرمونَ**﴾ [الأنفال: ٦ - ٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكـان أبـو سفيان حينَ دنـا من الحجـازِ يتحسَّسُ الأخبارَ، ويسألُ مَنْ يلقى من الركبان، تخوفاً على أموال قريش التي في القـافلة، حتَّى أصـابَ خبراً من بعض الركبانِ أنَّ محمداً قد استنفر أصحابَهُ للقاءِ القافلةِ، فلمَّا علمَ أبو سفيانَ بما عَزَمَ عليه رسول الله ﷺ وأصحابُه من التعـرُّضِ للعيرِ تصـرَّف التصرُّفَ الحَذِرَ الذكيَّ: فغيَّر الطريق، واتجهَ إلى الساحلِ، وأرسلَ ضمضمَ بنَ عمروٍ الغفاريَّ يطلبُ الغوثَ من قريشٍ، ويحثُّهم على إدراكِ أمـوالهم قبـل فواتِ الأوانِ... وسـارعَ ضمضمُ يطوي الأرضَ طيّاً على بعيره إلى أنْ بلغَ مكَّةَ في الوقتِ المناسبِ.

وقـدْ دخلَهـا على هيئةٍ تستثيرُ الحميَّةَ، وتدفعُ إلى الخـروجِ.. ويبـدو أنَّـهُ كان نديَّ الصوت جَهْوَريَّهُ.. فدخلَ وهو يصرخُ بأعلى صوتِهِ ببطنِ الوادي، واقفاً على بعيرِهِ، وقد جَدَعَ أَنْفَ البعيرِ، وحوَّل رحله، وعَمَدَ إلى قميصه فشقَّهُ.. وطفق ينادي بصوت متهدّجٍ عالٍ باكٍ:

يا معشرَ قريشٍ!! اللطيمةَ اللطيمةَ!! أموالكُم مع أبي سفيانَ قَدْ عَرَضَ لها محمدٌ في أصحابه!! لا أرى أن تُدْركوها!! الغوثَ الغوثَ!!

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وصار يكرِّرُ هذهِ النداءاتِ المثيرةَ، وهو وبعيرُه على الصورةِ التي ذكرْنَا، وإنَّها لصورةٌ مثيرةٌ مؤلمةٌ محزنةٌ. . فتجهّزَ الناسُ سراعاً، يدفعُهم للغوثِ حرصُهم على إنقاذِ أموالِهم وعداؤُهم الأسودُ لهذا الدينِ الجديدِ.

وكـانوا بَيْنَ رجلين: إما خارجٍ بنفسه، وإما باعثٍ مكانَه رجلاً. . وانخرطَ الناسُ في صفوفِ النجدةِ. . . وأوعبتْ قريشٌ فلم يتخلَّفْ منْ أشرافها أحدٌ، إلاَّ أنَّ أبا لهبٍ بَعَثَ مكانَه العاصَ بنَ هشام، استأجَرَهُ بأربعةِ آلافِ درهمٍ.

وكان أميةُ بنُ خَلَفٍ قَدْ أجمعَ القعودَ غَيْرَ أَنَّ أبا جهلٍ ما زالَ يَحُثُّهُ على الخروجِ حَتَّى خَرَجَ.

وقد أوردَ البخاريُّ خبرَ خروجِهِ كما يأتي:

حدَّث عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ عنْ سعدِ بن مُعاذٍ أنَّه كانَ صديقـاً لأميةَ بنِ خلفٍ، وكان أُميَّةُ إذا مرَّ بالمدينةِ نَزَلَ على سعـدِ بنِ مُعاذٍ، وكان سعدٌ إذا مرَّ بمكَّةَ نَزَلَ على أُميَّةَ، فلمَّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ انطلقَ سعدُ بنُ معاذٍ معتمراً، فَنَزَلَ على أُميةَ بمكَّةَ، قال سعدٌ لأميَّةَ: انظرْ لي ساعةَ خلوةٍ لَعَلِّي أطوفُ بالبيتِ، فخرجَ بهِ قريباً من نصفِ النهارِ، فلقيهما أبو جهلٍ فقال:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ـ يا أبا صفوانَ مَنْ هذا معكَ؟

ـ قال: هذا سعدٌ.

ـ قال له أبو جهلٍ: ألا أراكَ تطوفُ بمكَّةَ آمناً، وقد آويتمُ الصُباةَ وزعمتم أنكم تَنْصرونهم وتُعينونهم؟ أما واللهِ لولا أنَّكَ مع أبي صفوانَ ما رجعتَ إلى أهلِك سالماً.

ـ فقال له سعد ـ ورفع صوته ـ: أما واللهِ لئنْ منعتَني هذا لأمنعنَّكَ ما هو أشْدُّ عليك منه: طريقَك على المدينةِ.

فقال له أمية: لا ترفعْ صوتَك يا سعدُ على أبي الحَكَمِ، فإنَّه سيدُ أهلِ الوادي.

قال سعدٌ: دَعْنا عَنْك يا أُميَّةُ، فواللهِ لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«إنَّهم قاتِلُوكَ»

قال: بمكَّةَ؟

قال: لا أدري.

فَفَزِعَ لذلكَ أُميَّةُ فَزَعاً شديداً. فلما رجعَ أميةُ إلى أهلِهِ قالَ: يا أُمَّ صفوانَ! ألم تَرَيْ ما قالَ لي سعدٌ؟ قالتْ: وما قالَ لك؟ قالَ: زَعَمَ أنَّ محمداً أخبرهم أنَّهم قاتليَّ. فقلتُ له: بمكَّة؟ قال: لا أدري.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال أميةُ: واللهِ لا أخرجُ مِنْ مكَّةَ. فلمَّا كانَ يومُ بدرٍ استنفرَ أبو جَهْلٍ النَّاسَ قال: أدركوا عِيرَكُم.

فكَرِهَ أميةُ أنْ يَخْرُجَ، فأَتاهُ أبو جهلٍ فقالَ:

يا أبا صفوانَ إنَّك متى ما يراكَ النَّاسُ قد تخلَّفتَ وأنتَ سيِّدُ أهلِ الوادي تخلَّفُوا مَعَكَ. فلم يزلْ به أبو جهلٍ حتَّى قالَ: أما إذْ غلبتَني فواللهِ لأشترينَّ أجودَ بعيرٍ بمكَّةَ. ثم قال أميَّةُ: يا أُمَّ صفوانَ جَهِّزيني.

فقالتْ له: يا أبا صفوانَ وقد نسيتَ ما قالَ لك أخوكَ اليثربيُّ؟

قال: لا. ما أريدُ أن أجوزَ معهم إلَّا قريباً. فلما خرجَ أميةُ أَخَذَ لا يتركُ منزلاً إلَّا عَقَلَ بعيرَهُ، فلم يزل بذلك حتى قتله الله عز وجل ببدر[1].

وفي الرواية الأخرى التي أخرجها البخاري: قالتْ له امرأته: واللهِ إنَّ محمداً لا يكذبُ. وَزَحفتْ قريشٌ على الصعبِ والذلولِ في تِسْعِمائةٍ وخمسينَ مقاتلاً، وكان معهم مائتا فَرَسٍ يَقُودونها، وستُّمائة درعٍ، وكانَ معهم

(١) انظر صحيح البخاري كتاب المغازي باب ذكر النبي ﷺ من يقتل ببدر (فتح الباري ٧/٢٨٢) وذكره في أواخر كتاب المناقب (فتح الباري ٦/٦٢٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أيضاً القيانُ يضربن بالدفوف ويغنّين بهجاءِ المسلمين.

* * *

[٤]

ولمَّا رأى أبو سفيان أنَّه قد أحرز عيرَهُ أرسلَ إلى قريشٍ: «إنَّكم إنَّما خرجتم لتمنعوا عيرَكُم ورجالَكُم وأموالكم، فقد نجَّاها الله فارجعوا» فقال أبو جهل: والله لا نرجعُ حتَّى نَردَ بدراً[1]، فنقيمَ عليهِ ثلاثاً، فننحر الجُزُرَ، ونطعم الطعامَ، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً.. فامضوا.

* * *

[٥]

ثم نزل رسول الله ﷺ وأتاه الخبرُ عن قريشٍ ومسيرهم وعددِهم.. وعن نجاةِ القافلةِ.

وأدرك رسولُ الله ﷺ وأصحابُه أنَّهم مُوَاجَهُون بما لم يكونوا قد أَعدُّوا له عُدّة.

وهنا تظهر الرجولةُ الكاملةُ..، وتظهرُ الشجاعةُ

(١) قال ابن اسحاق: وكان بدرٌ موسما من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام انظر: البداية والنهاية ٣/٢٦٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التـامَّـةُ . . ، وتـظهـرُ الأصـالـةُ الحقيقيةُ في مواجهـةِ المـواقف . . وتظهرُ التضحيةُ . . وتظهر القيمةُ الانسانيةُ للمـرء . . فلم ير رسولُ الله ﷺ الإسراعَ في العودةِ إلى المدينة، ويبدو أنَّ ذلك كانَ ممكناً، ولم يرضَ أَنْ يحملَ أصحابَهُ على رأيه بالقوَّةِ، ولو أرادَ ذلكَ ما خالَفَهُ أَحدٌ . . ولكنَّهُ استشارَ النَّاسَ وصارحَهُمْ بالموقفِ، وذَكَرَ لهم ما بَلَغَهُ عنْ مسيرِ قُرَيْشٍ . وانتظَر الجواب .

فقام أبو بكر فقال وأحسن القول . فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ثم قال : أشيروا عليَّ أيُّها النَّاسُ .

فقامَ عُمَرُ بنُ الخطاب فقالَ وأحسنَ القولَ . فأثنى عليه رسولُ الله ﷺ خيراً ثم قال أيضاً :

أَشيروا عليَّ أيُّها النَّاسُ .

فقامَ المقدادُ بنُ عمروٍ ـ وهو من المهاجرين الأولين أيضاً ـ فقال :

«يا رسولَ اللهِ! امضِ لما أَرَاكَ اللهُ فنحنُ معكَ . واللهِ لا نقـولُ لك كما قالَ بنو إسرائيلَ لموسى : اذهبْ أنتَ وربُّـك فقـاتلا إنَّا ههنا قاعدونَ، ولكن اذهبْ انتَ وربُّك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فوالذي بعثك بالحقِّ لوْ سرتَ بنا إلى بَرْك الغمادِ[1] لجالدنَا معك مَنْ دونَهُ حتّى تبلغَهُ»

فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له ثم قال:

أشيروا عليَّ أيُّها النَّاسُ. وإنَّما يريدُ الأنصارَ، وذلك أنَّهم كانـوا أكثرَ الموجودينَ، كانوا عددَ الناس، و أنَّهم حين بايعوه بالعقبةِ قالوا: يا رسولَ الله! إنَّا بُرآءُ من ذمامكَ حتَّى تصلَ إلى دِيارنا، فاذا وصلتَ إلينا فأنتَ في ذمَّتنَا نمنعُكَ ممَّا نمنع منه أبناءنا ونساءنا.

فكان رسولُ الله ﷺ يتخوَّفُ أن لا يكونوا يروْن عليهم نصرهُ إلاَّ ممَّنْ دهمَهُ بالمدينة مِنْ عدُوِّه، وأنْ ليسَ عليهم أنْ يسيرَ بهم إلى عدوٍّ من بلادهم.

فلما قال ذلك رسول الله، قال لهُ سعدُ بنُ معاذٍ وهو سيد الأنصار:

والله لكأنَّك تريدُنا يا رسولَ الله؟

ـ قال: أجَلْ.

ـ قال سعدُ بنُ معاذ: «فقدْ آمنَّا بكَ وصدَّقناكَ، وشهِدْنَا أنَّ

---

(١) جاء في «النهاية»: تفتح الباء وتكسر، وتضم الغين وتكسر، وهو اسم موضع باليمن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما جئتَ به هُوَ الحقُّ، وأعطيناكَ على ذلك عُهودَنا ومواثيقَنا على السمعِ والطاعةِ لكَ. فامضِ يا رسولَ اللهِ لما أَردتَ فنحنُ معك.

فوالذي بعثك بالحقِّ لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلَّف منا رجلٌ واحدٌ، وما نكرهُ أَنْ تلقى بنا عدوَّنا غداً... إنَّا لصُبُرٌ في الحرب صُدُقٌ عند اللقاء، لعلَّ اللهَ يريكَ منّا ما تَقَرُّ به عَيْنُكَ، فَسِرْ على بَرَكَةِ الله».

فَسُرَّ رسول الله ﷺ بقولِ سَعْدٍ وابتهجَ. ثُمَّ قالَ:

«سيرُوا وأَبشرُوا، فإنَّ اللهَ وعدَني إحْدى الطائفتينِ، واللهِ لكأَنِّي الآنَ أنظرُ إلى مصارعِ القومِ».

* * *

[٦]

ثُمَّ ارتحلَ رسولُ الله ﷺ فنزلَ قريباً مِنْ بدرٍ، ثُمَّ لَمْ يلبثْ أَنْ ركبَ هو وأبو بكرٍ يستطلعُ أَرضَ المعركةِ، ويستكشف حقيقةَ الموقفِ.

فلقيَ شيخاً مِنَ العربِ، فسأَلَهُ عَنْ قُريشٍ وعنْ مُحمَّدٍ وأصحابِهِ وما بلغهُ عنهُم.

فقالَ الشيخُ: لا أُخبرُكما حتَّى تُخبراني ممَّنْ أَنْتما.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقالَ رسولُ اللّهِ إذا أَخْبَرْتَنا أخبرناكَ.

فأَخبرهما بمَا بلغهُ عن مكانِ كلٍّ منهما بدقَّةٍ. فلمَّا فرغَ مِنْ خبرِهِ قال:

ـ ممَّن أَنتما؟

ـ فقال له: نحنُ مِنْ ماءٍ..

ثم انصرفَ عنهُ ورجعَ ﷺ إلى أصحابِهِ. فلمَّا أَمسَى بعثَ عليَّ بنَ أَبي طالب، والزبيرَ، وسعدَ بن أبي وقَّاصٍ في نفرٍ من أصحابِهِ إلى ماءِ بَدْرٍ يلتمسونَ له الخَبَر. فأصابوا رجلين يسقيان لقريشٍ، فأتوا بهما، ففهم منهما ﷺ عِدتهم على وجه التقريب، ثم سألهما عَمَّنْ جاء مِنْ أشرافِ قريش، فذكرا له عُتبةَ بنَ ربيعةَ، وشيبةَ بنَ ربيعةَ، وحكيمَ بنَ حزامٍ، ونوفلَ بنَ خويلدٍ، والنضرَ بنَ الحارثِ، وأبا جهلٍ، وأميةَ بنَ خلفٍ وغيرهم.

فقال صلى الله عليه وسلم:

«هَذِهِ مكَّةُ قدْ ألقت إليكمْ أفلاذَ كبدها».

* * *

[٧]

واتّخذَ كلٌّ من الجيشين مكانه، كما ذكر الله تعالى:

﴿إذْ أَنتُم بالعدوةِ الدنيا وهم بالعدوةِ القصوَى والركبُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أسفلَ منكم ولوْ تواعدتُم لاختلفتُمْ في الميعادِ ولكنْ ليقضيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً﴾ [الأنفال: ٤٢].

وكانت الليلةُ التي سبقتْ المعركةَ ليلةً مريحةً للمسلمين، غشَّاهم اللهُ النعاسَ أمنةً منه، فاستراحتْ أعصابُهم، وبعث اللهُ الغيثَ ونزلتِ الأمطارُ، فكانتْ على المسلمين خيراً، شربوا منها وتطهروا، وتلبدت بها الأرض وتماسكت تحت أقدامهم، وانطفأ بها الغبار. وذلك قوله تعالى:

﴿إذْ يغشِّيكمُ النعاسَ أمنةً منه ويُنزِّلُ عليكُم مِنَ السماءِ ماءً ليُطهِّركمْ بِهِ ويُذهِبَ عنكم رجزَ الشيطانِ وليَربطَ على قُلوبِكُم ويُثبِّتَ به الأقْدامَ﴾ [الأنفال: ١١].

ونامَ رسولُ الله ﷺ فرأى الأعداءَ في منامِهِ قليلاً، فكان ذلكَ بشارةَ خَيرٍ: ﴿إذْ يُريكهمُ اللهُ في منامِكَ قليلاً. ولَوْ أراكهُم كثيراً لفشلتُم ولتنازعْتُم في الأمرِ ولكنَّ اللهَ سلَّمَ إنَّهُ عليمٌ بذاتِ الصدور﴾ [الأنفال: ٤٣].

وقال سعدُ بنُ معاذ: يا نبيَّ الله ألا نبني لَكَ عريشاً تكونُ فيهِ ونُعِدُّ عِنْدكَ ركائبك، ثُمَّ نَلْقى عدُوَّنا، فإنْ أعزَّنا اللهُ وأظهرَنا على عدُوِّنا كانَ ذلكَ ما أحببنا، وإنْ كانتِ الأخرى جلستَ على ركائبك، فلحقتَ بمنْ وراءَنا مِنْ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قومنـا، فقـد تخلَّفَ عنـك أقوامٌ ما نحنُ بأشدَّ حُبًّا لكَ منهم، ولو ظنُّوا أَنَّكَ تَلقى حرْباً ما تخلَّفوا عَنْك، يمنعُك اللهُ بهم يُناصحونك ويُجاهدونَ معَك.

فأَثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير. ثم بُني لرسول الله عريشٌ كانَ فيه.

* * *

[٨]

وشـرعَ رسولُ اللهِ ﷺ يُسوِّي الصفوف ويُعدِّلُها.. ورجعَ إلى العريشِ، فدخلهُ ومعهُ أبو بكرٍ لَيْس معه فيه غيرهُ.

روى البـزارُ عن عليٍّ أَنَّه قال: مَنْ أَشجعُ الناس؟ فقالوا: أَنتَ يا أَميرَ المؤمنين. فقال: إِنِّي ما بارزني أحدٌ الا انتصفتُ منه، ولكنَّه أبو بكر.. إِنَّا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا: مَنْ يكونُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ لئلاّ يهويَ إِليهِ أَحَدٌ من المشركين؟ فواللهِ ما دنا منَّا أحدٌ إلا أبو بكرٍ شاهراً بالسيف على رأس رسول الله، لا يهوي إليه أَحدٌ إلاّ أهوى إليه. فهذا أشجعُ الناس.

وكان سعدُ بنُ معاذٍ واقفاً علىٰ بابِ العريشِ متقلداً بالسيفِ ومعهُ رجالٌ مِنَ الأنصارِ يحرسونَ رسولَ الله ﷺ.

ولمَّا رأى رسولُ الله ﷺ قُرَيْشاً تُقْبل قال:

«اللهم هذه قريشٌ قد أقبلَتْ بخُيَلائها وفَخْرِها تُحادُّك وتكذِّبُ رسولَكَ. اللهمَّ فنصرَكَ الذي وعدتني. اللهم أهلكهم الغَداةَ».

وعندما تقابل الفريقان قلّل اللهُ كلاً منهما في أعين الآخرين: **﴿وإذْ يُريكُمُوهُمْ إذِ التقَيْتُمْ في أَعْيُنِكُمْ قليلاً ويقلّلكم في أَعْيُنِهم ليقضيَ اللهُ أمْراً كان مفعولاً وإلى الله تُرْجَعُ الأمور﴾** [الأنفال: ٤٤].

ولكن ما إنْ بدأتِ المعركة، وصدق المؤمنون مع الله، والتحمت الحربُ حتى أوقعَ اللهُ الوهنَ والرعبَ في قلوب الذين كفروا، فجعل المسلمين في أعينِ الكافرين ضعفين كما قال تعالى: **﴿قد كانَ لكم آيةٌ في فئتين التقتا فئةٌ تقاتلُ في سبيلِ اللهِ وأخرى كافرةٌ يَرَوْنَهم مِثْلَيْهِم رأيَ العين واللهُ يؤيدُ بنصرِه من يشاءُ﴾** [آل عمران: ١٢].

وظَلَّ الرسولُ يُكثر الابتهالَ والتضرعَ ويقولُ فيما يدعو به:

«اللهمَّ إنْ تهلكْ هذه العصابة لا تعبدْ في الأرض».

وبدأت المبارزة، فَقَتَلَ حمزةُ شيبةَ، وقَتَلَ عليٌ الوليد، وقُتِلَ عتبة.

وكان شعار الصحابة يوم بدر: أحد. أحد. وتسابق الصحابة إلى الموت رجاءَ أن يدخلوا الجنة، حتى إنَّ عُمير بنَ الحمام استطال المدَّة التي يستغرقها أكلُ عدةِ تمرات، فألقاها من يده وقاتلهم حتى قتل.

روى مسلمٌ عن أنس قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: «لا يقدمن أحدٌ منكم إلى شيءٍ حتى أكون أنا دونه» فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» قال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله! جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم». قال: بخٍ بخٍ.

ـ فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ؟»

ـ قال: لا والله يا رسول الله إلّا رجاءَةَ أن أكونَ من أهلها.

ـ قال: «فإنك من أهلها».

فأخرج تمرات من قَرَنِه[1] فجعل يأكل منهنَّ ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه. إنها لحياة طويلة،

---

(١) القَرَن: جعبة النشاب.

فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل[1].

وذكر ابن جرير أنه كان يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زادٍ عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

ثم نزل رسولُ الله وأبو بكر من العريش، وحثّا على القتال، وقاتلا مع المقاتلين. قال عليٌّ: لقد رأيتنا يومَ بدر ونحن نلوذُ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو، وكان من أشدّ الناس بأساً.

وهزم الله قريشاً، فقتل الله من صناديدهم من قتل. فقد قُتل من الكفار سبعون، وأسر منهم سبعون، واستشهد من المسلمين أربعة عشر.

وأذلَّ اللهُ في هذا اليوم الشركَ والوثنيةَ، وأيَّد المؤمنين بنصره، وجعل كلمةَ اللهِ هي العليا: ﴿**وَلقدْ نَصَركم اللهُ ببدرٍ وأَنْتُمْ أذلةٌ فاتَّقوا اللهَ لعلَّكم تشكرون**﴾ [آل عمران ١٢٣].

واستجابَ اللهُ لرسولِهِ دعوتَهُ التي كان يهتفُ بها كثيراً وهي:

---

(١) صحيح مسلم ٦/٤٤

«اللهمّ أنجزْ لي ما وعدتني . . اللهمَّ نَصْرَكَ» .

وكان يرفعُ بهذا الدعاءِ يديهِ إلى السماءِ حتى سقطَ الرداءُ عن منكبيهِ، وجعل أبو بكرٍ يلتزمُهُ من ورائه، ويُسوِّي عليه رداءَهُ، ويقولُ مشفقاً عليهِ من كثرةِ الابتهالِ : «يا رسولَ اللهِ! بعضَ مناشدتِكَ ربَّكَ فإنَّهُ سينجزُ لَكَ ما وعَدكَ، فأنزلَ اللهُ : ﴿**إذْ تستغيثونَ ربَّكم فاستجابَ لكم أنِّي مُمِدُّكُم بألفٍ من الملائكةِ مُرْدِفينَ**﴾ [الأنفال : ٩] .

وتنزَّلَ النصرُ على المؤمنين، وأمدّهم بالملائكة : ﴿**إذْ يوحي ربُّك إلى الملائكةِ أنِّي مَعَكُمْ فثبِّتوا الذينَ آمنوا سأُلقي في قلوبِ الذين كفروا الرعبَ فاضربُوا فوقَ الأعناقِ واضربوا منهم كلَّ بنانٍ**﴾ [الأنفال : ١٢] .

* * *

[٩]

وتَقابَلَ الفريقانِ، وحَضَرَ الخصمانِ بين يدَيْ الرحمن، واستغاثَ بربه سيِّدُ الأنبياء، وضجَّ الصحابةُ الكرامُ بصنوفِ الدعاءِ، إلى ربِّ الأرضِ والسماءِ، سامعِ الدعاء، وكاشفِ البلاءِ.

وكان أوَّلُ مَنْ قُتلَ مِنَ المشركين الأسودَ بنَ عبدِ

الأسـدِ المخزوميَّ، وكان رجلا شرساً، سيِّىءَ الخُلُق، قتله حمزةُ على الحوض.

فعنـدئـذ حَميَ عتبـةُ بنُ ربيعـة، وأرادَ أَنْ يُظْهـرَ شجاعتَهُ، فبرز بَيْنَ أخيهِ شيبةَ، وابنِه الوليد. فلما توسطوا بين الصفين، ودَعَوْا إلى البرازِ خَرَجَ إليهم فتيةٌ ثلاثةٌ من الأنصارِ، فعندما عَرَفُوهُمْ نادى مناديهم: يا محمَّدُ: أَخْرِجْ إلينا أكفاءَنا مِنْ قومنا.

فقال النبيُّ ﷺ: قُمْ يا عبيدةُ بنَ الحارث، وقُمْ يا حمزةُ، وقُمْ يا عليُّ.

ووافق طلبُ الكفـار هذا رِضى النبيِّ ﷺ، لأنَّـهُ صلوات الله عليه لمّا سارع النفرُ الثلاثةُ من الأنصار إلى المبارزة كَرِهَ ذلك؛ لأنَّهُ أول موقفٍ واجَهَ فيه رسولُ الله ﷺ أَعداءَهُ، فأحبَّ أن يكونَ أولئك المبارزونَ من عشيرتِه، فأمرهُمْ بالرجوعِ، وأَمَرَ أولئك الثلاثةَ بالخروج.

فبـارزَ عبيدةُ عتبـةَ، وبارزَ حمزةُ شيبةَ، وبارزَ عليٌّ الوليدَ. فأمَّا حمزةُ فلم يمهل شيبةَ أَنْ قَتَلَهُ، وكذلك عليٌّ فلم يمهـل الوليدَ أنْ قَتَلَهُ، واختلف عبيدةُ وعتبةُ بينهما بضربتين، فأصابَ كُلٌّ منهما صاحبَهُ، وكَرَّ حمزةُ وعليٌّ بأسيافِهمـا على عُتْبةَ فأجهزا عليه، واحتملا عبيدةَ إلى

أصحابهما، فأضجعوهُ إلى جانبِ رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ عبيدة:

يا رسولَ اللهِ! لو رآني أبو طالبٍ لَعَلِمَ أنِّي أحقُّ بقوله:

ونُسلِمُـهُ حتَّى نُصَـرَّعَ دُونَـهُ ونـذهلُ عن أبنائنا والحلائلِ

ثم ماتَ رضي الله عنه فقال رسولُ الله ﷺ: «أشهدُ أَنَّكَ شهيدٌ» وتزاحف الناسُ، ودَنا بعضُهم من بعضٍ، فخرج رسول الله ﷺ الى الناسِ، فحرَّضهم قائلا: «والذي نفسُ محمد بيده لا يقاتلُهم اليوم رجلٌ فيقتل صابراً محتسباً، مقبلا غيرَ مُدْبرٍ إلا أَدخَلَهُ اللهُ الجنَّةَ».

* * *

[١٠]

ومن الذين صُرعوا في هذه المعركة أبو جهل، فلقد كان رأساً عنيداً من رؤوس الكفر، وهو عمرو بن هشام المخزومي، عَرَفَ الحقَّ ولكنه جَحَدهُ، بغياً ومنافسةً وطغياناً، فقد كان يسمع خفية قراءة النبي وهو يصلّي بالليلِ في بيتِه، جاءَهُ الأخنس بن شريق فدخلَ عليه بَيْتَهُ فقال: يا أبا الحكم! ما رَأْيُكَ فيما سمعتَ من محمدٍ؟

فقـالَ: ماذا سمعتُ؟ تنازَعْنَا نحنُ وبنو عبدِ مَنافٍ الشـرفَ، أَطْعمُـوا فأَطْعَمنـا، وحملُوا فحملنـا، وأعطوا فأعطينا، حتَّى إذا تجاثينا على الرُّكبِ وكنَّا كفرسيْ رهانٍ قالوا: منَّا نبيٌّ يأتيهِ الوحيُ من السماءِ، فمتى ندركُ هذه؟ واللهِ لا نسمعُ به أبداً ولا نصدقُهُ.. وهكذا فقدْ أَخَذَتْهُ العزَّةُ بالاثمِ، وكانَ مِنْ أشدِّ الناسِ تصميماً على محاربةِ اللهِ ورسولِهِ. لقد وَقَفَ في المعركةِ يرتجزُ ويقولُ:

ما تنقم الحربُ العوانُ منِّي بازلُ عامـينِ حديثٌ سنِّـي
لمثلِ هذا وَلَدَتْني أُمِّي

قال مُعاذُ بنُ عمرو بن الجموحِ السلميُّ: جعَلْتُهُ من شأني فَعَمَدْتُ نَحْوَهُ، فلمَّا أمكنني حملتُ عليه، فضربتُه ضربةً أطنَّت قدمَهُ بنصفِ ساقِهِ، فواللهِ ما شبهتُها حينَ طاحتْ إلا بالنـواةِ تطيحُ من تحتِ مرضخةِ النوى حينَ يُضْربُ بها، قال: وضربني ابنُه عكرمةُ على عاتقي فطرحَ يدي، فتعلقتْ بجلدةٍ من جنبي، وأجهضني القتال عنه.

ثمَّ مرَّ بأبي جهل - وهو عقير طريح - مَعوِّذ بنُ عفراء فضربَهُ حتى أثبتَهُ، وتركَهُ وبِهِ رَمَقٌ، وقاتلَ معوِّذٌ حتَّى قُتِلَ. فمـرَّ به عبـدُالله بنُ مسعـودٍ، فوجدَهُ بآخر رَمَقٍ فعرفَهُ، فوَضَعَ رِجْلَهُ على عُنُقِهِ وجلسَ على صدرِهِ يريدُ الإجهازَ

عليهِ، فَرَفَعَ رأْسَهُ وقال: على مَنْ كانت الدائرة؟ ألستَ رُوَيعينا بمكَّةَ؟

فقال له عبدُالله: أخزاكَ الله يا عدوَّ اللهِ، ثم احتزَّ رأسه وقتله.

ثمَّ جاء رسول الله فقال: قد قتلتُ أبا جهلٍ. فقال: آللهِ الذي لا إله الا هو؟

فقلت:آللهِ الذي لا إله إلا هو (مرتين أو ثلاثاً) فقال النبي ﷺ: «الله أكبر. الحمد لله الذي صدق وعدَهُ، ونصر عبدَهُ، وهزمَ الأحزابَ وحدَهُ» ثم قال: «انطلقْ فأرنيهِ» فانطلقت فأريتُه فقال: «هذا فرعون هذه الأمة»[1].

* * *

[١١]

وأمر رسولُ الله ﷺ بالقتلى أنْ يُطْرَحُوا في القَليب فطُرِحُوا فيه، فلما أَلقاهُمْ فيهِ وَقَفَ عليهم فقال: «يا أَهلَ القليب! هَلْ وجدتُمْ ما وعدكُمْ ربُّكُمْ حقّاً، فإنِّي قَدْ

(١) قال ابن كثير ٣/٢٨٩ ورواه أبو داود والنسائي. قلت: وما أكثر الفراعنة الذين جاؤوا بعده وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وجدتُ ما وعدني ربِّي حقاً». وفي رواية أنه قال: «يا أهل القليبِ! يا عتبةُ بنَ ربيعةَ ويا شيبةُ بنَ ربيعةَ ويا أميةُ بنَ خلف ويا أبا جهل بنَ هشام» فعدَّدَ مَنْ كان منهم في القليب «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا فإنّي قد وجدتُ ما وعدني ربّي حقاً».

فقال المسلمون: يا رسول الله أتُنادي قوماً قد جيَّفُوا؛ فقال: «ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم ولكنهم لا يستطيعونَ أن يجيبوني».

* * *

[١٢]

وأُسِرَ عددٌ من رؤوسِ الكفرِ يبلغون السبعينَ، وحُمِلُوا مصفَّدين إلى المدينةِ يعلوهم الخزيُ، ويبدو عليهم الذلُّ وعارُ الهزيمة.

وقد استشار الرسولُ ﷺ أصحابَهُ في الأسرى، فكان رأيُ عمرَ بن الخطابِ رضي الله عنه أن يُقْتلوا، ووافقه على ذلك آخرون. وكان رأيُ أبي بكرٍ أن يُفادَوا ووافقه على ذلك آخرون. قال أبو بكر: يا رسولَ الله: هؤلاءِ بنو العمِّ والعشيرةِ والاخوانِ، وإنِّي أَرى أن تأخذَ منهم الفديةَ فيكونُ ما اخذناه قوةً لنا على الكفَّار، وعسى أَنْ

يَهْدِيَهُمْ اللهُ فيكونوا لنا عَضُداً.

فقال رسول الله ﷺ: «ما تَرى يا بنَ الخطَّاب؟» قال: واللهِ ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تُمكِّنَني مِنْ فلانٍ ـ قريبٍ لعمر ـ فأَضربَ عنقه، وتمكن علياً من عقيلٍ فيضربَ عُنُقَهُ، وتمكن حمزةَ من فلان أخيه فيضربَ عُنُقَهُ، حتى يعلمَ الله أنه ليست في قلوبنا موادَّةٌ للمشركين. وهؤلاءِ صناديدُهم وأئمتُهم وقادتُهم. فمال رسولُ الله ﷺ إلى رأي أبي بكر، وكان الفداءُ. وقد نزل الوحيُ برأي عُمرَ معاتباً رسولَ اللهِ على قَبولِ الفداءِ، قال تعالى: **﴿ما كانَ لنبيٍّ أنْ يكونَ له أَسْرى حتَّى يُثْخِنَ في الأرضِ تُريدونَ عَرَضَ الدُّنيا، واللهُ يريدُ الآخرةَ واللهُ عزيزٌ حكيمٌ. لولا كتابٌ من اللهِ سَبَقَ لمسَّكم فيما أَخذتُم عذابٌ عظيم﴾** [الأنفال: ٦٧ـ٦٨]

* * *

[١٣]

أمّا عِدةٌ من استُشْهِدَ من المسلمين فأربعةَ عشرَ رجلاً: ستةٌ منهم من قريش. وثمانيةٌ من الأنصار.

* * *

[١٤]

أمّـا قريشٌ فقد ناحتْ على قتلاها شهراً، ثم أُشيرَ عليهم من كبـارِهم ألاَّ يَفْعلوا ذلـك، كيلا يَبْلُغَ محمداً وأصحابه جَزَعُهم فيشمتوا بهم، فسكتوا، وصمَّموا على ألاّ يبكوا قتلاهم حتَّى يأْخذوا بثأرهم، وتواصَوْا فيما بينهم ألا يَعْجَلوا في طلبِ الفداءِ لئلاَّ يَتَغالى المسلمونَ فيه.

* * *

[١٥]

إن معـركـة بدر مليئةٌ بالدروس والعظاتِ لو تأمَّلها الواعون. وأودُّ أنْ أُلِمَّ ببعض هذه الدروسِ التي نقفُ عليها في هذه الغزوة المباركة:

١) **الدرس الأول**: تشيرُ هذه الغزوة وغيرها من غزوات الرسول ﷺ إلى حقيقة تُميِّزُ هذا الدين الكريم، وتتضح في كل أحكامه.. هذه الحقيقة هي أنَّ هذا الدين يسلك في وصـوله إلى النصر السبيل البشري العاديّ، وينهجُ النهج الذي فطر اللهُ الناسَ عليه.

فالنـاسُ ينتصـرونَ إنْ قاتلوا صادقين، وإنْ أَخـذوا بأسبابِ النصرِ وأَعدُّوا له عُدَّته.

والحقُّ لا بُدَّ له من قوةٍ تؤيِّده وتَحميهِ ليقومَ ويسودَ،

ولو أنَّ أحداً من الخلق ينتصرُ لصلاحه ومكانتِه عند الله فقط دون جهـادٍ لكانَ ذلك لمحمد ﷺ، ولو أنَّ الحقَّ بقوته الذاتية دون قتالٍ يفوزُ وينتصرُ لانتصر وهو يحمله محمد ﷺ لمجرَّدِ أنَّه حقٌ.

ولكننا نرى في السيرةِ النبويةِ المطهرةِ أن الحروبَ التي كانت بين الرسول والكفار سجالٌ، فيومٌ للمسلمين ويومٌ عليهم. ونرى أنَّ الحقَّ الذي نادى به رسولُ الله ﷺ ودعـا الناسَ إليه اقتضى من المسلمين الذين استجابوا لهذه الدعوة أن يحتملوا العذابَ والأذى، ومفارقةَ الأهلِ والأوطانِ، وأن يمتشقوا الحُسامَ ويتعرَّضوا لمخاطرِ الحروبِ.

هذه حقيقةٌ لا بُدَّ من إدْراكها، وهي جليةٌ في غزوةِ بدرٍ خاصـةً وفي الغزواتِ الأخرى. وهذه الحقيقةُ نداءٌ يُوَجَّهُ للمجاهدينَ في سبيلِ اللهِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ يقول لهم: إنَّ دينَ اللهِ ينتشـرُ في النـاس بجهـودِ حَمَلَتِـهِ الصـادقينَ، ويسودُ في الدنيا وَفْقَ سُنَنِ اللهِ في انتصارِ الدعوات.. فتقدَّموا وجاهدُوا في سبيل الله، وأنفقوا في سبيل الله.

٢) **والدرس الثاني**: أنَّ الكمَّ وَحْدَهُ لا يُعوَّلُ عليه، وأنَّ

النـوعيَّةَ الفـاضلةَ هي المهمَّةُ، وهي التي ترجّح الكفة وتحققُ المطلوبَ.

فالقلةُ المؤمنـةُ الصـادقةُ المخلصةُ الواعيةُ الآخذةُ بأسباب القوة تنتصرُ على الكثرةِ مهما كانت هذه الكثرةُ، قال تعالى: ﴿**قد كانَ لكم آيةٌ في فئتين التقتا: فئةٌ تقاتلُ في سبيلِ اللهِ وأُخْرى كافرةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهم رأْيَ العينِ واللهُ يؤيِّدُ بنصره من يشاءُ**﴾ [آل عمران: ١٣]

وقال: ﴿**قالَ الذينَ يظنونَ أنَّهم ملاقو اللهِ: كَمْ من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن اللهِ واللهُ مع الصابرين**﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فالمؤمنون في بدرٍ ثلاثُمائةٍ وأربعةَ عشر رجلاً يقابلون من المشـركين عدداً يقـرب من الألف، ومعهم فَرَسَـانِ اثنانِ، ومع المشركين مائةُ فَرَسٍ.

والمسلمـون فقـراءُ، والمشركونَ يذبحونَ كُلَّ يومٍ عشرةَ جمالٍ.

وعلى الرغم من التفاوت الكبير في الكمِّ كان النصر للقلّة المؤمنة الصادقة.

٣) والدرس الثالث: أنَّ الاتكال على الله واللجوء إليه أمر مطلوب من المسلم، وهو صفة من صفات المؤمنين في

كل حالاتهم. . وأنه له وزنه في الأمور العسكرية، فإنه يعطي المؤمن قوة عظمى، وذلك عندما يتحرك وهو موقن أن الله العلي العظيم معه: ﴿**وَمَنْ يتوكَّلْ على اللهِ فهُوَ حَسْبُه**﴾ [الطلاق: ٢]

ولكنَّ التوكل على الله إنما يكون بعد الأخذ بالأسباب.

ولقد دعا رسول الله ﷺ في بدر وابتهل إلى الله وسأله وبالغ في ذلك كله مبالغة بينة، تبدو من قراءة خبر الغزوة. وكان توكله على الله كبيراً ووثوقه بما عند الله عظيماً. وكان لذلك أثره الواضح في الصحب الكرام في المعركة.

٤) **والدرس الرابع**: أنَّ النصر للمؤمنين الصادقين. . هذا وعد الله. . ووعدُهُ حقٌّ، قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلفَ الذين من قبلهم ولَيُمكِنَنَّ لهم دينَهُمُ الذي ارتضى لهم وليُبدِّلنَّهُمْ من بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً، يَعْبُدونني لا يُشركونَ بي شيئاً، ومَنْ كَفَرَ بعد ذلكَ فأولئكَ هُمُ الفاسقون**﴾ [النور: ٥٥].

إن هذه الغزوةَ تأكيدٌ في عالمِ الواقعِ لتحقُّقِ هذا

الوعدِ، فلقد كان كثيرٌ من المؤمنين أذلةً مستضعفين في مكَّة يُقاسونَ من طواغيتِ الشركِ الشيءَ الكثير، فلما آمنُوا واتَّقوا استخْلَفَهُمْ ربُّهم ومكَّنَ لهم دينَهم، وبدَّلهُم من بعد الخوفِ أمناً ونصرهم: ﴿وَلَقَدْ نَصَركُمُ اللهُ ببدرٍ وأَنْتُم أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. وإنَّ المضطهدين المعذبين إن آمنوا حَقَّ الايمان وعملوا الصالحات وَفْقَ ما شرع الله وأعدوا للأمر عُدَّته أتاهم النصر كما حصل لأهل بدر وإن في ذلك لعبرة لأولي الألباب.

٥) **والدرس الخامس**: الذي نستقيه من هذه الغزوة صفات القائد المثالي، الذي يجب أن يكون أسوة لكل من يتصدى لقيادة الناس. هذه الصفات نجدها متمثلة في رسول الله ﷺ، وسنذكر بعضاً من أهمها:

- فمن أهم صفات القائد التي رأيناها في هذه الغزوة المساواة مع الجند في الغرم والغنم. ونشير إلى عدد من الحوادث التي وردت في قصة هذه الغزوة:

ـ ذكر علماء السيرة أن رسول الله ﷺ كان في هذه الغزوة هو وعلي بنِ أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد يعتقبون بعيراً. فكان ﷺ يمشي في نوبته ويأبى تنازل هذين الصحابيين عن حقهما ويقول:

«مـا أنتمـا بأقوى مني على المشي، وما أنا بأغنى منكما عن الأجر»[1]

ـ وذكر رواة السيرة أنه لم يأخذ من الغنيمة الا ما يحق له، لا فرق بينه وبين أي مسلم.

- ومن أهم هذه الصفـات ترك محـابـاة أحد بعامل القـرابة أو غيره، فمن حوادث هذه الغزوة أنه عند المبـارزة انتـدب عمه حمزة وابن عمه علياً وقريبه عبيدة بن الحارث[2].

- ومن أهم صفات القائد التي تمثلت في تصرفات النبي الكريم ﷺ في هذه الغزوة خضوعه للحق.

فقـد طلب بعض الصحابة أن يقيد من نفسه ففعل، وذلك أنه ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم، فمرَّ بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار وهو خارج عن الصف، فطعن في بطنـه بالقـدح وقـال: «استو يا سواد»، فقال: يا رسولَ اللهِ أَوْجَعْتَني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني.

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ٢٦١.

(٢) هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف

فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال: «استقد» فاعتنقه سوادٌ فقبّل بطنه. فقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟».

قال: يا رسول الله حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدي جلدك. فدعا له رسول الله بخير[1].

- ومن هذه الصفات التي تجلّت في رسول الله يوم بدر الشجاعة والإقدام. يقول علي رضي الله عنه: «لما كان يوم بدر وحضر الناس، اتقينا برسول الله ﷺ، وما كان أحدٌ أقرب الى المشركين منه»[2].

- ومن هذه الصفات التي لا بد من توافرها في القائد والتي كانت واضحة في رسول الله ﷺ الشورى. والشورى مبدأ إسلامي كان يطبقه الرسول العظيم امتثالا لأمر الله: ﴿وشاورهم﴾، ويظهر في هذه الغزوة في مواقف متعددة:

فمنها استشارة الصحابة في المعركة وإلحاحه على الأنصار أن يقولوا كلمتهم واستشارتهم في الأسرى وغير ذلك.

---

(١) البداية والنهاية ٣/٢٧١ (٢) البداية والنهاية ٣/٢٧٩

ومن لوازم هذه الصفة أن يكون لدى القائد استعدادٌ لقبول نصح الناصح من أصحابه، والنزول على الرأي السديد.

وذلك كما رأينا في نزول النبي واختياره مكان تمركز الجيش، إذ أنه لما نزل أول مرة قال له الحباب بن المنذر: أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا أن نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة».

قال: يا رسول الله! إنَّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماءٍ من القوم، فننزله فنشرب ولا يشربون.

فقال ﷺ: «لقد أشرتَ بالرأي»[1].

٦) **والدرس السادس**: أنَّ غزوة بدرٍ كانت بداية مرحلةٍ جديدة للدعوة الاسلامية وهي الخروج من النطاق الداخلي في المدينة إلى النطاق الخارجي في جزيرة العرب، وقد عرفت هذه الغزوة بغزوة بدر الكبرى، تفريقاً

---

(١) عيون الأثر ١/ ٢٥١

بينها وبين غزوة بدر الأولى التي وقعت في السنة الثانية أيضاً، وكانت بعد رجوعه ﷺ من غزوة العُشَيْرة، فقد جاء كُرْزُ بن جابر الفهري وأغار على الابل والمواشي التي تسرح للرعي في سهول المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة. وحمل لواءه علي بن أبي طالب، فسار حتى بلغ سفوان، وهو وادٍ من ناحية بدر، ولكنه لم يدرك كُرْزاً، ولم يلق حرباً، وتسمى هذه الغزوة بدراً الأولى، أو غزوة سفوان.

ومن المناسب أن نذكر أن رسول الله ﷺ حاول التعرض للقافلة عندما بلغه خروجُ قريش بأعظم عيرٍ لها نحو الشام، فقد خرج لها رسول الله ﷺ في جمادى ومعه مائة وخمسون من المهاجرين، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ولم يزل سائراً حتى بلغ العُشَيْرَة (وهو موضع بناحية ينبع) فوجد العير قد مضت، فرجع إلى المدينة ينتظر عودتها.

إذن غزوة بدر هي الخطوة الناجحة في الاحتكاك بقوى الكفر خارج نطاق المدينة، ولقد كانت فرقاناً بين الحق والباطل، وانطلاقاً لدعوة الناس إلى مبادىء الاسلام.

٧) **والدرس السابع**: أنّ هذه الأمة انتقلت بسبب هذه الغزوة من وضع المطاردة والقلق والضعف، إلى وضع

العـزة والأخذ بأسباب القوة والاستقرار والنصر: ﴿**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة**﴾ [آل عمران: ١٢٣]

فلقـد استـطاعت القلة المؤمنة أن تنتصر على كل زعامات الشر والجاهلية.

٨) **والـدرس الثـامن**: أنّ غزوة بدر أثبتت قيمـة الروح المعنـوية في الجيش التي لا يذكيهـا شيءٌ كما يذكيها الإيمـان والـدين. فلقـد اجتمـع في أبـطال بدر: قوة العقيدة، ونقاؤها، واتقادها، والحرص على الاستشهاد رغبة فيما عند الله.

بينما كان المشركون على خلاف ذلك: كانوا على عقيدة فاسـدة، وعـاطفـة دينية ضعيفـة، وحـرص على الملذات واللهو، فقد اصطحبوا معهم القيان لتغني لهم وهم يشـربـون الخمـر ويأكلون أطايب الطعام، وكانت روحهم المعنوية ضعيفة.

٩) **والدرس التاسع**: الذي دلت عليه هذه الغزوة الاتعاظ بحـال الكفار، فإنَّ للإصرار على المعاصي خطراً على الأمة، يهدد سلامتها، فلقد رأينا في حوادث الغزوة أن أبا سفيان عندما نجا بالقافلة أرسل يخبر قريشاً بنجاته، وهمَّ بعضهم بالرجوع، غير أن أبا جهل أقسم ألا يرجع، وأنه

يريد الاقامة على بدر ثلاثا ينحر الجزر ويشرب الخمر، حتى تسمع العرب بمسيره وجمعه فلا يزالون يهابونه أبداً.

إن غرور الكفـار بقـوتهم وكثرتهم وإصرارهم على المعاصي أودى بهم وأهلكهم.

* * *

وهكـذا أذل الله الشـرك، وأعز دينه، ونصر عباده المؤمنين، والحمـد لله رب العـالمين وصلى الله على محمد وآله.

==========

======